وهل الإيمان إلا الحب ؟

٦

حب الوالدين

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

توقَّفَ الباصُ في الطَّريقِ الطَّويل، وذلكَ بهدفِ الاستراحةِ قليلاً، وأداءِ صلاةِ المغربِ والعشاءِ.

ونزلَ الركّابُ ... وهَيَّؤُوا أنفسَهم للصَّلاةِ خلفَ (الشَّيخِ يحيى).

وفي صَلاةِ المغربِ رتَّلَ الشَّيخُ بعدَ الفَاتحةِ قولَهُ تعالى:

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾

[الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤].

وقرأَ في الرَّكعةِ الثَّانيةِ: الفاتحةَ، ثم قولهُ تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[لقمان: ١٤ ـ ١٥].

وبعدَ الصَّلاةِ والوِرْدِ والدُّعاءِ.. جَلَسُوا يتناولون قليلاً من الشَّرابِ الباردِ، مع قليلٍ من الفاكهةِ والتُّمور.

فقالَ الأستاذُ (زَينُ العابدين): ما هوَ السِّرُّ في قراءةِ الشَّيخِ في رَكعتَيْ صَلاةِ المَغربِ آياتٍ تَتحدَّثُ عن برِّ الوالدينِ وطَاعَتهمَا؟

فأَجابَ الشَّيخُ يَحيى: لأنِّي أحببتُ أَنْ نَتذاكَر في مَسألةِ حُبّنا للوالدين.

حُبُّ الوَالدَيْنِ وبرّهمَا قَبلَ كُلِّ شيءٍ

فَقَالَ الأُستاذُ (نُور الهدى): أحسنتَ يا شَيخَنا، فهذا موضوعٌ مهمٌّ، وللأسفِ يغفلُ عنه الكَثِيرون.

فالشَّريعةُ الإسلاميَّةُ تقدّمُ برّ الوالدينِ على كلِّ شَيءٍ، حتَّى على الخُروجِ في سبيلِ اللهِ تعالى!!

مصداقُ ذلكَ ما وردَ في صحيحِ البُخاريِّ عن عبدِ اللهِ بن مَسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال:

سَألتُ رسولَ الله ﷺ: أيّ العَملِ أحبُّ إلى اللهِ؟

قالَ: «الصَّلاةُ على وقتِهَا».

قلتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟

قالَ: «برُّ الوالدين».

قُلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟

قالَ: «الجِهادُ فِي سَبِيلِ اللهِ».

ودليلٌ آخرُ أيضاً ما روادُ البيهقيُّ عن ابنِ عمرٍ رضيَ اللهُ عنهُمَا قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «نومُكَ على السّريرِ برّاً بوالديكَ، تضحكهمَا ويُضحكانكَ أَفضَلُ من جِهادكَ بالسَّيفِ في سَبِيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ».

ودليلٌ آخرُ أيضاً ما وردَ في صَحيحِ البخاريِّ وَسننِ التِّرمذيِّ عن عبدِ اللهِ بنِ عمروِ بن العاصِ رضيَ اللهُ عنهمَا قال: جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فاستأذنَهُ في الجِهادِ، فقالَ: «أَحَيٌّ والداكَ»؟ قالَ: نَعم.

قالَ: «فَفِيْهِما فَجاهِدْ».

وَفِي صَحِيحِ مُسلمٍ عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرو أيضاً قالَ: أقبلَ رجلٌ إلى نَبيِّ اللهِ ﷺ فقالَ: أُبايِعُكَ على الهِجرةِ والجِهادِ أَبتغِي الأجرَ من اللهِ.

قالَ: «فهلْ من والديكَ أحدٌ حيٌّ»؟

قالَ: نعمْ ، بل كِلاهمَا.

قالَ: «فتبتغي الأجرَ من اللهِ؟».

قالَ: نَعَمْ.

قالَ: «فَارْجِعْ إلى وَالِديكَ فَأحْسِنْ صُحبَتَهُمَا».

واستأذنَ الشَّابُّ اللاَمعُ (مُهتدي) ليتكلَّمَ ، وأذنَ لهُ الشَّيخُ فقالَ: وأنا حفظتُ من خَطيبِ الجُمعةِ أنَّ الجنَّةَ تحتَ أقدامِ الوالدين ، بحيثُ إذا تواضعَ الولدُ أمامَ والديهِ ولمْ يَرُدّ لهما طَلباً ، كانَ بذلكَ يدفعُ ثَمنَ الجنَّةِ!!

وقد روى الطَّبرانيُّ عن طلحةَ السلميِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: أتيتُ النَّبيَّ ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله، إنِّي أُريدُ الجهادَ في سبيلِ اللهِ.

قالَ: «أُمّكَ حيَّةٌ؟».

قلتُ: نعمْ.

فقالَ النَّبيُّ صلواتُ اللهِ عليهِ: «اِلْزَمْ رجلَها فثمّ الجنَّة».

وفي روايةٍ ثانيةٍ عندَ الطَّبرانيِّ أيضاً، قال رسولُ الله ﷺ: «ألكَ والدانِ؟» قلتُ: نعم، قالَ: «الزَمْهُمَا فإنَّ الجنَّةَ تحتَ أرجلهمَا».

ما هيَ ثَمراتُ حُبِّ الوَالدينِ وبرّهمَا؟

وسألَ (حسنٌ): وما هيَ الفوائدُ والثَّمَراتُ التي يجنيهَا الإنسانُ من حبِّ الوالدينِ؟

ويجيبهُ المربّي الأستاذ (زَينْ العابِدين) فَيقولُ:

ما دَامَ أنَّ اللهَ تعالى قدْ أمرَ ببرِّهما، وأوصىٰ بهِمَا ـ خاصَّةً عند الكِبَر ـ معنى ذلكَ أنَّ رضاهُمَا يُعطِي الشَّيءَ الكَثيرَ، ومصداقُ ذلكَ ما روادُ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهمَا أنَّ النَّبيَّ صلواتُ اللهِ عليهِ قالَ: «مَنْ أَمسىٰ مرضياً لوالديهِ وأَصبح، أمسَىٰ وأصبحَ ولهُ بابانِ مَفتوحَانِ من الجنَّةِ، وإنْ واحداً فواحداً، ومَنْ أَمسىٰ وأصبحَ مُسْخِطاً لوالديهِ أَمسَىٰ وأَصبحَ لهُ بابانِ مَفتُوحانِ إلى النَّارِ، وإنْ واحداً فواحداً».

فَقالَ رجلٌ: يا رسولَ اللهِ، وإنْ ظَلماهُ؟

قال: «وإنْ ظَلَماهُ، وإنْ ظَلماهُ، وإنْ ظَلَماهُ».

وهُناكَ أمرٌ آخرٌ، وهوَ أنَّ برّ الوالدينِ وحبّهمَا يَزيدُ في الرِّزقِ والعُمرِ، مصداقُ ذلكَ

قولُ رسولِ الله ﷺ: «مَنْ سرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لهُ في عُمرِهِ، ويُزاد له في رِزْقِهِ، فليبرَّ والديهِ وليصِلْ رَحِمَه».

وقالَ الرَّسولُ ﷺ أَيضاً: «إِنَّ الرَّجُلَ ليُحرمُ الرِّزْقَ بالذَّنب يُصيبهُ، ولا يَرُدُّ القَدَرَ إِلاّ الدُّعاء. ولا يزيدُ في العُمرِ إلا البرّ».

أَجلْ يا أستاذَنا الجليل ـ قال الشَّابُّ (حُسين) ـ وحبُّ الوالدينِ وبرّهمَا سببٌ رئيسيٌّ لتفريجِ الكروبِ، مصداقُ ذلكَ تلكَ القصَّة المَشْهُورة، والتي حَفِظْنَاها منذُ الصِّغَر، وهي في صَحِيحِ البخاريِّ عن ابنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ:

«انطلقَ ثلاثةُ رهطٍ ممَّنْ كانَ قبلكُمْ حتَّى آواهُمُ المبيتُ إلى غارٍ، فَدَخَلُوهُ، فانْحَدَرَتْ صخرةٌ من الجبلِ فسدَّتْ عليهم الغارَ، فقالوا:

إنَّهُ لا يُنجيكم من هذهِ الصَّخرةِ إلاّ أن تدعوا اللهَ بصالحِ أعمالِكُمْ.

فقالَ رجلٌ منهم: اللَّهُمَّ كانَ لِي أبوانِ شَيْخانِ كبيرانِ ، وكنتُ لا أغبقُ[1] قبْلَهُما أهلاً ومالاً فنأى بي طَلَبُ شيءٍ يوماً فلمْ أرحْ عليها حتّى ناما ، فَحَلبتُ لهما غَبوقَهُمَا فوجَدْتُهما نائمينِ ، فكرِهْتُ أَنْ أَغبقَ قبلهمُا أهلاً أو مالاً ، فلبثتُ والقَدَحُ على يَدي أنتظرُ استيقاظَهُما حتَّى برقَ الفَجرُ ، وكانَ الصِّبيةُ يتضاغَوْنِ[2] عندَ قَدميَّ فاستيقظَا فَشَرِبا غَبُوقَهُما ، اللَّهُمَّ إنْ كنتُ فعلتُ ذلكَ ابتغاءَ وجهِكَ ففرّجْ عنَّا ما نحنُ فيهِ من هذهِ الصَّخرةِ ، فانفرجَتْ شَيئاً لا يستطيعونَ الخُرُوجَ».

(١) الغبوق: شراب الحليب في المساء.
(٢) أي: يصيحون من الجوع.

قالَ النَّبيُّ ﷺ: «قالَ الآخرُ: اللَّهُمَّ كانتْ لِي ابنةُ عمٍّ كانت أحبَّ النَّاسِ إليّ فراوَدْتُها عن نَفْسِها فامتنعتْ منِّي ، حتَّى ألمَّتْ بها سَنَةٌ[1] من السِّنين فَجَاءتنِي فأعطيتُها عِشرينَ وَمئةَ دينارٍ على أنْ تُخلِّي بيني وبين نَفسِهَا فَفَعَلَتْ ، حتَّى إذا قدرتُ عَليهَا قالَتْ: لا أحلُّ لكَ أنْ تَفضَّ الخاتمَ إلاّ بحقِّهِ[2].

فتحرّجتُ من الوُقُوعِ عَليها ، فانصرفتُ عَنها وَهيَ أَحبُّ النَّاسِ إليَّ ، وتركتُ الذَّهبَ الذي أعطيتُهَا ، اللَّهُمَّ إنْ كنتُ فعلتُ ذلكَ ابتغاءَ وجهكَ فافْرُجْ عنَّا ما نحنُ فيهِ ، فانفرجتِ الصَّخرةُ غيرَ أنَّهُمْ لا يستطيعونَ الخُروجَ مِنْها».

(١) أي: عام قحط ، فلا أمطار ولا نبات ولا ثمار.

(٢) أي: لا تتزوجني إلا الزواج الشرعي.

قالَ النَّبيُّ ﷺ: «وقالَ الثَّالثُ: اللَّهُمَّ إنِّي استأجَرْتُ أُجراءَ وأَعطيتُهم أجرَهُمْ غيرَ رَجُلٍ تَرَكَ الذي له وذَهَبَ ، فثمَّرتُ أجرَهُ حتَّى كثرتْ منهُ الأموالُ فجاءَنِي بعدَ حينٍ ، فقالَ لِي: يا عبدَ اللهِ أدِّ إليَّ أجري!

فقلتُ له: كلّ ماترىٰ من أَجركَ من الإبلِ والبَقَرِ والغَنَمِ والرَّقيقِ ، فقالَ: يا عبدَ اللهِ لا تستهزِئْ بِي!

فَقلتُ: إنِّي لا أستهزئُ بكَ ، فأخذهُ كلّه فاستاقَهُ فلم يتركْ منهُ شيئاً.

اللَّهُمَّ فإنْ كنتُ فعلتُ ذلكَ ابتغاءَ وجهكَ فافْرُجْ عَنَّا ما نحنُ فيهِ.

فانفرجتِ الصَّخرةُ فخرجُوا يَمشُون».

هَلْ جزاءُ الإحسانِ إلاّ الإحسان

واعتدلَ الشَّيخُ (يحيى) وقال: صدقَ الشَّاعرُ بقولهِ:

١ ـ وعليكَ برُّ الوالدينِ فضيلةٌ
وارعَ بذي الأرحامِ نعمةَ فَضلهِ

٢ ـ يا طالَما عَطفُوا عليكَ برأفةٍ
رَبَّوكَ في حُجرِ الدَّلالِ وظلِّه

٣ ـ فاشكرْ مَحاسنَ والدَيكَ وعزِّهُمْ
واخفضْ لهم عزَّ الجَنَاحِ بذلّهِ

وحتَّى بعدَ موتِهما، فعلى المُسلمِ أَنْ يبرّهمَا. مصداقُ ذلكَ ما وردَ في سُنَنِ أبي دَاود مِنْ أَنَّ رجلاً جاءَ إلى رسُولِ الله ﷺ فقال: «يا رسولَ الله إنَّ أبوايَ قدْ هَلكا، فهلْ بقيَ من برِّهما شيءٌ أصلهُمَا بهِ بعدَ موتِهمَا؟ قالَ: «نَعم، أربعةُ أشياء: الصَّلاةُ عليهمَا، والاستغفارُ لهُما،

وإنفاذُ عَهْدِهمَا بعدَ مَوْتِهمَا ، وإكرامُ صديقهمَا ، وَصِلة رَحمهما التي لا رحمَ لكَ قبلهما».

أَكبرُ الكَبائر!!

وقالَ الأُستاذُ (نورُ الهدى): ولكنَّ عُقُوقَ الوالدينِ لهُ عقوبةٌ ، في الدُّنيا والآخرةِ ، مصداقُ ذلكَ قولُ رسولِ الله ﷺ: «كُلُّ الذُّنوبِ يُؤخِّرُ اللهُ منها ما شاءَ إلى يومِ القيامةِ إلا عُقُوقَ الوالدينِ، فإنَّ اللهَ يُعَجِّلهُ لصاحبهِ في الحياةِ قبلَ المَماتِ».

وروىٰ البُخاريُّ في صَحِيحهِ قولَ رسولِ الله ﷺ:

«ألا أنبِّئكم بِأَكبرِ الكَبائرِ؟».

قُلنا: بلى يا رسولَ الله.

قالَ: «الإشراكُ باللهِ ، وعقوقُ الوالدينِ» وكانَ

متكئاً فجلسَ فقال: «ألاَ وقولُ الزُّور، وشَهادةُ الزُّور» فما زالَ يُكرِّرها حتَّى قُلنا: ليتهُ سَكَتَ.

وَخَتَمَ الشَّيخُ (مُصطفى) الجلسةَ بقولِ رسولِ الله ﷺ: «رِضَا الرَبّ في رَضا الوالدين».

والحمدُ للهِ ربّ العالمين